

١- لست عصفوراً بل نسرأ ..

من منا لا يعرف قصة انتصار داود على جليات الذي ظل يُعير ويرعب الشعب وملكه شاول أربعين يوماً ؟ !!
لكن أحداثاً مؤسفة وقعت بعد هذا الانتصار العظيم ..

لقد خرجت النساء من جميع المدن مغنيات وراقصات على أنغام الدف قائلات « ضرب شاول ألوفه [ألوف من جيوش الأعداء] وداود ربواته [عشرات الألوف] » .. فاغتاظ شاول وغضب جداً وقال « أعطين داود ربوات وأما أنا فأعطيني الألوف » (١ صم ١٨ : ٧ ، ٨) .. وامتزج الغيظ والغضب بالخوف ، فقد سيطر على قلب شاول الخوف من أن يأخذ داود المُلْك منه .. وسريعاً ما تحول هذا الخوف إلى رغبة عارمة في التخلص من داود بقتله .. أكثر من مرة ألقى شاول على داود الرمح وهو يعزف له في القصر (١ صم ١٨ : ١١ ، ١٩ : ١٠) .. « وكلم شاول ابنه .. وجميع عبيده أن يقتلوا داود » (١ صم ١٩ : ١) ..
في ذلك الوقت عبّر داود عما في قلبه بكلماته في المزمور الحادي عشر ، فتعال معي نقرأها ثم نتأملها فكم هي مفيدة لنا :

« على الرب توكلت [وضعت ثقتي فيه].

كيف تقولون [أيها الأعداء] لنفسي اهربوا إلى جبالكم كعصفور .

لأنه هوذا الأشرار يمدون القوس ..

إذا انقلبت الأعمدة [الأساسات] فالصديق ماذا يفعل .

الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيه « (مز ١١ : ٤-١) ..

وتأمل فبعد ما كان شاول في مستهل عهده يجتهد في ضم الرجال الأكفاء إلى جيشه « إذا رأى شاول رجلاً جباراً أو ذا بأس ضمه إلى نفسه » (١ صم ١٤ : ٥٢) ، ها هو يسعى لقتل من هو أكثرهم شجاعة وبأساً داود .. يا لها حقاً من مأساة أن يتحول الملك الذي من أهم واجباته الحفاظ على سلامة شعبه إلى مجرم خطير يطلب قتل من أنقذ الشعب من جليات، وبحسب كلمات داود لقد « انقلبت الأعمدة » فماذا يفعل؟.. حوّل داود عينيه عن التركيز في رمح شاول المرعب والقوس القاتل الذي مده عليه عبيد شاول واتجه إلى الرب الذي « في السماء كرسيه » .. أي إلى الرب الذي هو أعلى من كل ملوك الأرض ويهيمن على جميع الأشخاص والأحداث ويجعلهم يعملون لخير أولاده .. يقول داود أن أعداءه أرادوا له أن يتصرف مثل العصفور الضعيف الذي ينكمش مذعوراً حينما تأتي الرياح العاتية وتهطل الأمطار الغزيرة فيكف عن الطيران ويختبئ مرتعداً مُرتعباً ..

رفض داود أن يرى نفسه **عصفوراً جباناً** كما أراد له أعداؤه ، قاوم الخوف باتكاله على الرب .. اسمعه معي وهو يقول « الرب نوري وخلصي ممن أخاف . الرب حصن حياتي ممن أرتعب .. إن نزل عليّ جيش لا يخاف قلبي . إن قامت عليّ حرب ففي ذلك أنا مطمئن » (مز ٢٧ : ١ ، ٣) .. ونراه في أحد مزاميره العظيمة يصف نفسه **بالنسر** الذي يحتفظ طوال عمره بالحيوية والقوة فيقول داود :

« باركي يا نفسي الرب وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس .
باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته ..
الذي يشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك » (مز ١٠٣ : ١ ، ٢ ، ٥) ..

قارئ العزيز ، لم ير داود نفسه عصفوراً ضعيفاً بل نساً قوياً ، فماذا عنك أنت ؟ .. كيف ترى نفسك حينما تواجه كداود **خطراً** يهدد سلامتك أو سعادتك ، خطراً يتوعدك بخسائر ضخمة أو أذي شديد أو فشل ذريع ؟ .. هل تترك نفسك للمخاوف تُعذبك أو للهيم والقلق يسلبانك تمتعك المبهج بعطايا الرب الثمينة ؟ .. وهل في هذا الوقت **تتهرب** من تحمل المسئوليات سواء بالعزلة المريضة أو الانغماس في الملذات الأثمة؟ ..

لا ، ليس قصد الرب على الإطلاق أن تكون هذه هي حالة أي ابن من أبنائه في أي وقت من الأوقات ..

ثق أن الرب لا يريدك أبداً **عصفوراً** مرتجعاً .. بل **نساً** شجاعاً.. نساً متى هبت العواصف انتصر عليها وواصل طيرانه السريع وانطلاقته إلى أعلى فالرب « يُشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك » ..

قارئ ، ارفض أن ترى نفسك عصفوراً ضعيفاً فالرب يريدك دائماً **نساً** ، اعتمد عليّ ضع ثقتك فيه فيؤيدك دائماً بقوته ، ويجعل أوقاتك الصعبة كغيرها من الأوقات أوقاتاً يشبع فيها بالخير **عمر**ك.. نعم في الأوقات الصعبة استمر واثقاً في الرب معتمداً على وعوده وسيزيل منك التعب والإعياء لتظل في حيوية ونشاط ومعنويات مرتفعة .. « فيتجدد مثل النسر شبابك » ..

ارفع أجنحة كالنسر

الرب لا يريدك عصفوراً بل **نساً** فلماذا ترى نفسك ضعيفاً؟ .. هل تتذكر آيات سفر إشعياء القائلة:

« يعطي المعيني قدرة ولعديم القوة يكثر شدة .

الغلمان يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثراً .

وأما منتظرو الرب فيجددون قوة . يرفعون أجنحة كالنسر .

يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون » (إش ٤٠ : ٢٩ - ٣١) ..

توقف عن القراءة الآن لحظات ، اطلب من الرب أن يعمل بهذه الآيات في قلبك ليزيل منه الخوف ويملؤه

بالإيمان فترى نفسك نسرأ قادراً أن يخلق عالياً منتصراً في كل الظروف .. انظر بتمعن ما تقوله هذه الآيات:

• « الغلمان يعيون والفتيان يتعثرون »

هناك من الظروف الصعبة ما يُتعب ويُعيي ويُعثر (يُسقط) أكثر الناس قوة وقدرة وشباباً اللذين يسميهم إشعياء « الغلمان .. والفتيان » ، لكن ذات هذه الظروف تقف عاجزة لا قدرة لها على إذلالك إذا صدقت آيات إشعياء فوجهت نظرك على الرب واتكلت بقلبك على وعوده ..

إذا كنت تجتاز ضيقة في هذه الأيام ، ضع هذه الآيات نصب عينيك .. إنها تقول لك **انتظر الرب**.. انتظره فسيحقق وعوده.. إن وقت الانتظار ليس وقتاً للإعياء والشفقة على النفس بل وقتاً يجدد فيه الرب قوتك « منتظرو الرب يجددون قوة».. سيزيل منك كل إعياء وضعف، وبإله من اعلان لا يُقدّر بثمن إنه « يعطي المعبي قدرة ولعديم القوة يُكثّر شدة» (إش ٤٠ : ٢٩) ..

• « يركضون ولا يتعبون »

الركض أو الجري وصف استخدمته كلمة الله مراراً لتصف العمل في **خدمة الرب** (١كو ٩ : ٢٤ ، ٢ تي ٤ : ٧) .. ففي وقت الضيقات يهبك **الروح القدس** القوة الكافية لكي تواصل خدمتك للرب ولا تتأخر في إنجاز ما كلفك به .. ستركض متحركاً بطاقة تفوق أي طاقات طبيعية لدى الإنسان، في هذا الوقت ستختبر **قوة الروح** على نحو خاص مثلما حدث مع بولس في مدينة فيلبي.. لقد ضربوه بالعصي ضربات كثيرة ثم أقوه في السجن مُقيداً بسلاسل في قدميه لكن الرب أعطاه قوة غير عادية لنفسه وجسده، فحتى منتصف الليل عند انفتاح أبواب السجن كان لا يزال يقظاً يصلي ويُسبح ، وبعد انفتاح الأبواب وانفكاك القيود لم يخلد للراحة بل ظل ساهراً يخدم الرب يقدم رسالة الخلاص لحافظ السجن وعائلته بل قام بتعميدهم جميعاً والليل لا يزال بعد (أع ١٦ : ٢٢ - ٣٤) !!

• « يمشون ولا يعيون »

المشي هو أمر يفعله الإنسان كل يوم ، إنه يتحدث عن الأمور **الاعتيادية** التي تفعلها كل يوم كالعمل والدراسة والمهام المنزلية والعائلية كراية الصغار .. لا، لن تصيبنا هذه المسؤوليات بإعياء أو ملل أو تدمر أو أي شيء يعطل تنفيذنا لواجباتنا اليومية **فالروح القدس** سينعشنا يومياً مثل الندى الذي ينعش أوراق النبات فجر كل يوم .. القارىء العزيز ، ارفض الاستسلام إلى الإعياء وتعال إلى الرب لتنتعش بندي **الروح** فتجدد قوتك لتظل دائماً

نسرأ يرفع الأجنحة عالياً فوق كل صعاب تواجهك ..

لا ، ليس قصد الرب أن تكون في أي وقت عصفوراً مرتعشاً بل نسرأ شاباً ..

الجراد

حينما كان شعب الله يتأهب لدخول أرض الموعد كنعان أرسل موسى قائد الشعب اثني عشر جاسوساً من الشعب ليتجسسوا هذه الأرض وكان الهدف أن يأتوا بأخبار تساعد على امتلاكها .. وعادوا بعد أربعين يوماً ليقدّموا تقاريرهم إلى موسى ، إلا أنهم انقسموا إلى مجموعتين عشرة منهم قالوا:

«قد رأينا هناك الجبابرة بني عناق من الجبابرة . فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم» (عد

١٣ : ٣٣) ..

تأمل ، إنهم من شعب الله لكنهم استسلموا لما يقوله المنطق الطبيعي والذهن البشري إنهم أضعف بكثير جداً من بني عناق الكنعانيين .. استسلموا لما يقوله «العيان» ورفضوا منطق «الإيمان» الذي يرى قوة الله التي تؤيد الضعفاء وتحولهم إلى أقوياء (٢ كو ١٢ : ٩) .. لم يروا أنفسهم نسرأ أمام الجبابرة سكان كنعان .. رأوا أنفسهم في منتهى الضعف « جراداً » واعتقدوا أن الكنعانيين الجبابرة يرونهم كذلك جراداً ، مع أن الحقيقة كانت عكس ذلك تماماً لأن الكنعانيين كانوا كما يقول الكتاب يخافون شعب الله جداً بسبب سماعهم عن المعجزات التي فعلها الرب لهم (خر ١٥ : ١٥ ، يش ٢ : ١١) ..

القارئ العزيز ، لا تكن قارئ مثل هؤلاء العشرة وتقبل فكرة أنك أضعف من إبليس فمن اللحظة التي رُشت عليك فيها دم الرب يسوع وأنت أقوى منه .. نعم أنت أقوى إن كنت تثق أنك من أولاد الله المغسولين بالدم (رؤ ١٢ : ١١) ، ولست أبداً أضعف من السحر أو الحسد أو أية أمور شيطانية أخرى فقد أعطيت السلطان أن تدوس كل قوة العدو إبليس (لو ١٠ : ١٩) ..

لا ، لا تفعل مثلهم وتعتقد أن إبليس يراك ضعيفاً .. كلا قاومه باسم الرب يسوع وسيراك أقوى منه وحتماً سيهرب منك (يع ٤ : ٧) ..

هؤلاء العشرة من شعب الله رأوا أنفسهم ضعفاء جراداً أمام الأعداء لهذا فشلوا ولم يمتلكوا الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً .. هذه القصة نقرأها في سفر العدد الأصحاح ١٣ ، بينما إذا انتقلنا إلى الأصحاحين ٢٣ و ٢٤ من ذات السفر وجدنا رؤية الله لشعبه .. إنه لا يراهم جراداً هزياً بل أسوداً قوية لأنه هو معهم ..

• «هوذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد» (عد ٢٣ : ٢٤) ..

• «ترتفع مملكته .. جثم كأسد ربض كلبوة» (عد ٢٤ : ٧ ، ٩) ..

فالرب يريدك أن تكون كالأسد الذي يقوم بكل ثقة ودون أي خوف كي يواجه أعداءه .. الروح القدس مستعد أن يزيل منك الخوف ويملوك بالثقة في كل مواجهة .. تقول كلمة الله عن المؤمن في سفر الأمثال:

«الصديقون فكشبل [أسد] تثبت [لا يتزعزع]» (أم ١٨ : ١) ..

لم ير العشرة أنفسهم كما ير ييهم الرب بل كما ير ييهم إبليس استسلموا للحسابات المنطقية فحكموا على أنفسهم بأنهم جراداً هزياً بدلاً من أسود .. أما المجموعة الثانية ، الاثنان يشوع وكالب ، فكان تقريرهما مختلفاً تماماً إذا اعتمد على حسابات الإيمان .. على وعد الله لهما بامتلاك كنعان .. رأيت أنفسهما «أسوداً» كما يراها الله ، ولهذا قالوا عن جابرة بني عناق إنهم «خبزنا» أي أننا سنأكلهم بسهولة برغم كل ما نراه بالعيان .. ولذا لم يفشلا .. نجحاً نجاحاً عظيماً .. دخل كلاهما كنعان وتمتعا بخيراتها الوفيرة ..

أنت أيضاً لن تفشل وستنجح نجاحاً عظيماً وستمتع ببركات الرب الوفيرة إذا فعلت كيشوع وكالب ورفضت أي منطق طبيعي يقول إنك ستفشل ووثقت أن الرب معك ويؤيدك بقوته .. نعم لن تفشل إذا رأيت نفسك كما تقول كلمة الله أسداً قوياً وليس جرادة ضعيفة .. أسداً ليس بسبب إمكانياتك الطبيعية فأنت إناء من الخزف (٢ كو ٤ : ٧) ، لكنك أصبحت أسداً بسبب تأييد الرب لك .. أما إذا استسلمت للأفكار الانهزامية وصغر النفس ورأيت نفسك ضعيفاً كالعصفور أو الجرادة فستفشل ولن تتمتع ببركات الرب ، لأن هذه الرؤيا تناقض إيمانك بأن الرب معك وهذا يعني ببساطة أن إيمانك إيمان مُزيف لا يفيدك في شيء ..

عندما كلف الرب جدعون بقيادة شعبه لينالوا الحرية من عبوديتهم للمديانيين أكد له أنه معه (قض ٦ : ١٢) ، ومع هذا اعتقد جدعون أن الرب لن يفعل له شيئاً والسبب أنه كان يرى نفسه صغيراً بل الأصغر وسط الشعب « ها عشيرتي [عانتلي] هي الذلي [الأقفر] في [قبيلة] منسى وأنا الأصغر في بيت أبي » (قض ٦ : ١٥) .. هكذا رأى جدعون نفسه فكيف رآه الرب « يا جبار البأس .. إنني أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد [أي كما لو كان جيشهم قد تصاغر جداً إلى أن صار شخصاً واحداً] » (قض ٦ : ١٢ ، ١٦) ..

إن عدم الإيمان جعل جدعون ينظر إلى الواقع ويستخلص منه هذه النتيجة ، إنه عاجز .. أما الإيمان فينظر إلى الرب ويجعلك تقول أنا بالرب جبار بأس ..

رأى إرميا نفسه صغيراً حينما دعاه الرب لمواجهة الشر الذي كان سائداً فاعتذر قائلاً « أه يا سيد الرب إنني لا أعرف أن أتكلم لأنني ولد » (إر ١ : ٦) وهو بالفعل صغير بدون الرب ولكنه مع الرب هو مختلف تماماً ، هو جبار بأس .. قال الرب له « لا تقل إنني ولد [أي لا ترى نفسك صغيراً أو ضعيفاً] .. هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة

حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس « (إر ١ : ٧ ، ١٨) ..

أيها الحبيب ، استقبل ما سمعته من كلمات في قلبك الآن وقل إله إرميا هو إلهي وكما دعاه لمواجهة الشر دعاني أنا أيضاً (يو ١٥ : ١٨ ، ٢ تي ١ : ٨ ، ٩) لذا استطيع أن أقول بإيمان :

• لست ولدأ .. أنا مدينة حصينة لا يقدر إبليس أن يقتحمها ..

• لست ولدأ .. أنا عمود حديد .. ثابت لا تُزعزع إيماني أية ضيقات ..

• لست ولدأ .. أنا أسوار نحاس .. تواجه العالم الآثم ولا تنكسر ..

أمن بما قالته كلمة الله عن المؤمن ، أنه قوي ، يسير تحت حماية مظلة دم الرب المنيعة ، ويمسك بيده سيف الروح ، وينطلق من قوة إلى قوة ومن مجد إلى مجد ، وكل الأشياء تعمل معاً لخيره .. هيا مع داود ارفض أن ترى نفسك عصفوراً أمام شاول ومع يشوع وكالب ارفض أن ترى نفسك جرادة أمام الكنعانيين الجبابرة ومع جدعون ارفض أن ترى نفسك الأصغر العاجز أمام المديانيين ومع إرميا ارفض أن تكون الولد الضعيف أمام الشعب الشرير .. أنت بقوة الرب نسر قوي يرفع الأجنحة ليسخر من العواصف ، وأسد لا يهتز يُرعب أعداءه بحسب وعد الرب « أرسل هيبتي أمامك » (خر ٢٣ : ٢٧) .. وجبار بأس يصغر أمامك كل أعدائك ومدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس لا تقدر عليها أبواب الجحيم ..

لا أستطيع

قد تقول لكنني لا أستطيع أن أرى نفسي نسراً أو أسداً أو جبار بأس أو مدينة حصينة ولاسيما حينما يكون الواقع المعاش صعباً والأخطار كبيرة وقريبة .. أيها الحبيب إلهنا ليس مطلقاً إله التعجيز ، إنه « إله كل نعمة » (١ بط ٥ : ١٠) سيهبك القدرة أن ترى نفسك كما يريحك هو أن تراها وقد أعطانا أيضاً هذا الامتياز الذي بلا مثيل أن نمثليء بالروح القدس ، فالروح هو الذي يعطينا القدرة أن نرفض كل فكر انهزامي وكل اتجاه لصغر النفس ونري أنفسنا كما يريتنا الرب أن نراها .. رجاء انتبه لما تقوله هذه الآية :

« الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح sound mind » (٢ تي ١ : ٧)

تأمل لقد أعطانا «روح النصح» وكلمة نُصح هي باليونانية « somsinorhpos » وهي مركبة من كلمتين « sos » وتعني سليم « efas » و « nerhp » وتعني ذهن ، أي أن معناها هو سلامة التفكير ويقول الدارسون أن لها معنى آخر هو القدرة على ضبط النفس self control .. هللوا ، لقد أعطانا الرب الروح القدس الذي يجعلنا قادرين على ضبط أفكارنا لكي تكون سليمة تتفق مع أفكار الرب ..

الروح القدس الذي فينا هو الذي يُمكننا أن نرفض كل الأفكار المضرة وأن نُخضع كل أفكارنا لأفكار الرب ولا نفكر في اتجاه معاكس لها .. الروح هو الذي يهب القدرة لأذهاننا أن تفكر كما يريد الرب في اتجاه النجاح وليس الفشل ، الانتصار وليس الهزيمة ، المجد وليس الخزي ..

الروح القدس هو الذي سيساعدك أن ترى نفسك نسرأ لا عصفوراً وأسداً وليس جرادة .. فلماذا لا تتوقف الآن عن القراءة لتطلب أن يعمل الروح القدس في ذهنك عملاً خاصاً ويحرره من كل فكر انهزامي ضار لتفكر حسناً فترى نفسك أنك جبار البأس ..

وإذا أحسست بضعفك

لا تنس أبداً هذه الحقيقة أننا نغلب الأخطار والضيقات وننجح برغم كل العوائق حينما نعتمد على الإيمان وليس الإحساس .. والإيمان هو أن ترى الأمور ليس بحسب ما تشعر أو ما يقوله الناس بل ما تقوله كلمة الله .. ولا يفوتك أن الكلمة عندما خاطبت المؤمنين الذين لم ينضجوا بعد في رسالة يوحنا الأولى قالت لهم إنهم أقوياء ومنتصرون ..

« لأنكم أقوياء .. وقد غلبتم الشرير » (١ يو ٢ : ١٤)

أيها الحبيب إذا لم تُدخل الإيمان في حساباتك سيحدث أحياناً أن تنظر إلى إمكاناتك وتقارنها بالأعمال التي يرىك الرب أن تقوم بها فتخرج بنتيجة أنك عاجز وفاشل ولكن حينما يهيمن الإيمان على تفكيرك ستقول بكل ثقة إنه مهما كانت الأمور المضادة أمامي سأنجح نجاحاً عظيماً لأنني متكِل على الرب ، يقول سفر إرميا :

« مبارك الرجل الذي يتكل على الرب وكان الرب متكلاً عليه . فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر تمت أصولها ولا ترى إذا جاء الحر ويكون ورقها أخضر وفي سنة القحط لا تخاف ولا تكف عن الإثمار » (إر ١٧ : ٨٧) ..

الرب يقول عنك إن كنت متكلاً عليه إنك شجرة ناجحة مثمرة في أسوأ الظروف حتى في زمن القحط ..

ولا تعبأ بالكلمات المُحبطة

هل يستخدم إبليس أشخاصاً ليتعبونك بكلماتهم، هل يسخرون مما تفعله ، هل يستهزؤون بقدراتك ويتوقعون لك الفشل ؟ .. لا تعبأ بكلماتهم ، استمر في طاعة الرب واثقاً أنك نسر وأسد .. واصل عملك بنشاط .. اعمل دائماً الخير وستتحقق معك كلمات الوحي القائلة :

« لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكنوا جهالة الناس الأغبياء » (١ بط ٢ : ١٥) ..

« لتبكم شفاه الكذب المتكلمة على الصديق [المؤمن] بوقاحة بكبرياء واستهانة» (مز ٣١ : ١٨)

هيا قل بايمان :

باسم الرب يسوع تسكت الأفواه التي يستخدمها إبليس ضدي ..

قارئ العزيز .. الرب يسوع لم يمت لأجلك على الصليب كي تكون عصفوراً أو جرادة بل نسرأ وأسدأ .. لقد حرر المرأة المنحنية من « روح ضعف » كان متسلطاً عليها ثماني عشرة سنة قائلاً لها « أنك محلولة من ضعفك » (لو ١٣ : ١٢) فإن كان يُسيطر عليك صغر النفس وأفكار الفشل والاتجاهات الانهزامية بسبب أنك مقيد بروح ضعف أصاب نفسيتك بالانحناء ، فاستقبل الآن باسم الرب يسوع كلماته المحررة :

« أنت محلول من ضعفك »

الكلمات ستعمل فيك وتطلقك من هذا القيد لترى نفسك « في الرب » نسرأ وأسدأ .. جبار بأس ومدينة حصينة ..

أشكرك إلهي العظيم ..

من أجل كلمتك التي حررتني

من نظرتي الانهزامية إلى نفسي

لن استسلم بعد لصغر النفس وأفكار الفشل أو المخاوف ..

ولن أقبل أي صورة سيئة عن

نفسي ..

فقد ولدتني إنساناً جديداً مدعواً لحياة المجد ..

وأيدتني بروحك .. روح القوة والمجد ..

ووهبتني سلطاناً على إبليس وجنوده ..

وسجلت لي في كتابك العظيم وعوداً

تناسب كل موقف صعب يمكن أن

أجوز فيه ..

أشكرك لأنني بك

أنا نسر ..

أنا أسد ..

ولمجدك ..